بمناسبة
الخمسين المقدَّسة

دليل القيامة، هل هو كافٍ؟[1]

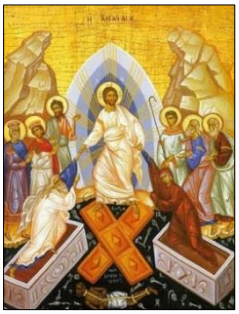

❖✚❖

نقدِّم في هذه المقالة بحثًا عقلانيًّا: هل القبر الفارغ الذي دُفِنَ فيه المسيح، ثم وُجِدَ فارغًا بالرغم من حراسة الجنود الرومان، هو تبريرٌ كافٍ لدى الجماعة المسيحية القديمة منذ القرن الأول الميلادي، بأنَّ المسيح قد قام من القبر وهو مُغلَقٌ من الخارج وتحت حراسة الجنود الرومان؟

وللإجابة على هذا التساؤل، يجب أن تكون الأدلة كمحاولة عادلة مع عدم التحيُّز .

ظَهَرَ لكثيرين:

إنَّ النصوص الواردة في الأناجيل الأربعة تُبيِّن أنه لابد أن يكون هناك إيمانٌ قبل رؤية الرب القائم من الموت.

+ "توما" التلميذ "الشكَّاك" للمسيح، كان لابد أن يقتنع بالرؤية قبل الإيمان، لأنه لم يكن حاضرًا وقت ظهور المسيح للتلاميذ في العلِّيَّة في المرَّة الأولى، فلما قالوا له بعد ذلك، قال لهم: «إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لَا أُومِنْ». ولكن بعد ثمانية أيام جاء الرب يسوع في العلِّيَّة، وكان توما مع التلاميذ؛ فلما رأى كلَّ شيءٍ، آمن بقيامة الرب (يو ٢٠: ٢٤-٢٩). وهكذا، فإنَّ تلميذَي عمواس اللذين كانا مُسافرَيْن ورأيا المسيح في الطريق، لم يتعرَّفا عليه؛ ولكنهما عرفاه عند كَسْر الخبز حسب عادته، فانفتحت أعينهما، وآمنا (يو ٢٤: ٣٠،٣١).

+ ولا أحد يستطيع أن يقرأ العهد الجديد دون أن يهتمَّ بأن يفحص الآيات التي تُشير إلى

---

(١) من كتاب: "تأملات في شخص المسيح الحي"، إعداد: المُتنيِّح الأب الراهب باسيليوس المقاري (٧/ ٦/ ١٩٣٤- ١/ ١/ ٢٠٢١)، طبعة أولى، ٢٠٢١، ص ٤٣٣.

الرب القائم من بين الأموات. فالأناجيل الأربعة تُسجِّل تقارير عديدة عن مثل هذه الأحداث.

+ لقد رأته مريم المجدلية وهي ذاهبة إلى قبره ومعها الحنوط، فلم تنتبه إلى شخص المسيح، وظنَّت أنه البستاني (يو ٢٠: ١٥). ونساءٌ أُخريات رجعنَ من القبر (مت ٢٨: ٨-١٩)، وكذلك بطرس الرسول (لو ٢٤:٣٤؛ ١كو ١٥:٥).

+ ثم رآه التلاميذ في العلِّيَّة (فيما عدا "توما") (يو ٢٠: ١٩-٢٣)، ثم ظهر الرب لهم مرةً أخرى وكان معهم "توما"، في الأحد التالي (يو ٢٠: ٢٦-٢٨). ثم ظهر الرب للتلاميذ السبعة بما فيهم «سِمْعَانُ بُطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَابْنَا زَبْدِي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ» على بحر طبرية (يو ٢١: ١،٢). «وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا» (١كو ١٥: ٦). «وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ» (١كو ١٥: ٧). وكل هؤلاء شهدوا عيانًا بصعود المسيح (مت ٢٨: ١٨-٢٠؛ مر ١٦: ١٩؛ أع ١: ٣-١٢). وقد أضاف بولس الرسول نفسه لهذه القائمة (١كو ١٥: ٨). ويذكر سِفْر أعمال الرسل أنَّ هذه الظهورات امتدَّت إلى ٤٠ يومًا، غير الظهورات التي لم تُسجَّل.

القبر الفارغ:

في فجر القيامة، قامت النسوة بزيارة القبر، حيث دُفِنَ فيه جسد الرب يسوع (لم يَذهَبْنَ يوم السبت، لأنه كان مُحرَّمًا في شريعة موسى أن يَقُمْنَ فيه بأيِّ عمل). فتعجَّبنَ، إذ رأيْنَ القبر مفتوحًا، وجسد يسوع ليس موجودًا فيه! وها هو الدليل الأول، إذ أنَّ "القبر فارغٌ"! وباختصار، فإنَّ الرسل بدأوا يُعلنون بأنَّ الرب يسوع قد قام. فلقد كان من الصعب الاقتناع بأنَّ الرسل قد ابتكروا هذه القصة، إذ كان من الممكن أن يتمَّ سَحْقُها بسهولة عن طريق ظهور الجسد المقدَّس. ولكن لم يأتِ أحدٌ بجسد المسيح، إلى الآن!

اعتراضات مُضادة يجب أَخْذُها في الاعتبار:

لقد كان من المستحيل أن يكون اللصوص قد خدعوا الحُرَّاس ورفعوا الحجر الضخم الذي على باب القبر، وأخذوا الجسد المقدَّس وكذلك الأكفان. ولكن ما هو الدافع المُمكن أو المُحتَمَل لذلك؟!

+ فإن كان الرؤساء أنفسهم هم الذين أَخذوا الجسد، فسيكون لديهم وتحت تصرُّفهم،

ما يؤدِّي لإسكات الذين يُعلنون القيامة، وسيكون عندهم الدوافع الكافية لاتِّخاذ هذا الإجراء. وهذا فقط إن كان لديهم الجسد حقًّا! وطبعًا ليس عندهم هذا الجسد. فالقبر صار فارغًا. فإن كان لدى المسئولين السلطان لدحض القيامة، فإنَّ حيويَّة الكنيسة ستتبدَّد سريعًا. ولكن لم يكن في سلطانهم تفنيد القيامة، لأن ليس لديهم الجسد المقدَّس. أمَّا صمتهم المكتوم فقد أعطى وزنًا ومعقولية للكرازة بقيامة المسيح.

+ وكلُّ هذه النظريات قاصرة وغير كافية. ولذلك، فكلُّ هذه التفسيرات الكلاسيكية العتيقة هي أكثر معقولية من الروايات البسيطة التي عندنا، والتي أخبرنا بها أشخاصٌ يمكن أن نتهمهم باضطرابٍ عقلي أو بالنفاق!

+ ولكن شهادة تلاميذ المسيح كانت بسيطة. فالله الآب أقام الرب يسوع لتثبيت أو إعطاء الشرعيَّة لكَونه هو "المسيح"، ولإثبات بنوَّته الإلهيَّة! وأخيرًا، إنَّ الحُكْم التاريخي لابد سيكون على جانبٍ أو لآخر. فذاكرة الجماعة الرسولية قد أَرجَعَت الحياة إلى المسيح حيًّا قائمًا من الموت، وليس طريقًا وَسَطًا!

هل أكفان الموت تُرِكَت مُبعثرة، أم مَطْويَّة بعناية؟

لقد وَصَفَ الإنجيل الأكفان أنها كانت متروكة داخل القبر، مَطْويَّة بعناية، كما وصفها القديس يوحنا (٢٠: ١-٩)، وأنَّ جسد الرب يسوع لم يكن داخل القبر! بينما الأكفان كانت هناك موضوعة بعناية في المكان وفي نفس الموضع الذي دُفِنَ فيه جسد المسيح، وكذلك لفافة الرأس عند الرأس!

+ وهذا الوصف يحمل علاماتٍ خاصة لعينَي الشاهد الذي «رأى وآمن» بنفس الدقَّة. لقد وصل يوحنا للقبر أولًا ونظر إلى داخل، ولكن بطرس هو الذي دخل أولًا، ثم دخل يوحنا بعد ذلك ورأى شيئًا ما، وفي الحال اقتنع بأن الربَّ يسوع قد قام!

+ والقصة كُتِبَت بالتدقيق، فيقول القديس يوحنا: «فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضًا التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَآمَنَ» (٢٠: ٨). فأيَّة شهادة وبرهان رآها القديس يوحنا، حتى أنها أثارت إيمانه الفوري؟ ولكن ليس مجرَّد عدم وجود الجسد يعني قيامة المسيح! ولكن بأيَّة طريقة كانت الأكفان موضوعة؟ كأنَّ الجسد كان موضوعًا داخلها، ثم حينما قام المسيح، انفلت الجسد من الثياب، وترك الأكفان كما هي! ولكن تَرْكها بحالةٍ مُرتَّبة

مُهندمة، فهذا يُثير الدَّهش (يو ٢٠: ٦،٧).

+ هذا هو ما رآه بطرس ويوحنا، وأثار الإيمان فيهما في الحال! إنه لأمرٌ مُدهش أن يكون عندنا هذا الوصف الدقيق الحاسم لشاهد (أي يوحنا الرسول) كان حيًّا منذ ٢٠ قرنًا من الزمان!

+ لا يوجد تتمَّة أخرى مُتوقَّعٌ حدوثها تُؤيِّد الأكاذيب بأنَّ الجسد سبق أن أَخَذَه التلاميذ ولفُّوه في قماش كتَّان. ولكن لا شكَّ بأنَّ الربَّ يسوع "قد مات"، و"دُفِنَ" في القبر! ثم أُغْلِقَ القبر من الخارج وخُتِمَ عليه. لقد بَدَأت مراسم الدَّفن يوم الجمعة، وظلَّ الجسد في القبر طيلة السبت، ثم أتى اليوم التالي بعد السبت (فجر الأحد) حينما أتت النسوة إلى القبر.

لقد أتت النسوة إلى القبر ليُتمِّمن مراسم الدفن. فإذا كُنَّ متوقِّعات قيامة الرب، ما أَتينَ إلى القبر! ولكن، كما ذَكَرَ إنجيل مرقس، أنه «بَعْدَ مَا قَامَ (الرب) بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ ... فَذَهَبَتْ هذِهِ وَأَخْبَرَتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ... فَلَمَّا سَمِعَ أُولئِكَ أَنَّهُ حَيٌّ، وَقَدْ نَظَرَتْهُ، لَمْ يُصَدِّقُوا» (مر ١٦: ٩-١١). وشرح القديس لوقا مشاعر التلاميذ عندما سمعوا من النسوة عن عدم وجود جسد يسوع في القبر، فقال: «فَتَرَاءَى كَلاَمُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ» (لو ٢٤: ١١).

+ وحتى بعد ذلك، وفيما هم يتكلَّمون بهذا، وقف الرب يسوع نفسه بعد قيامته في وسطهم في العلِّيَّة، وقال لهم: «سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا» (لو ٢٤: ٣٦،٣٧)، ولذلك «وَبَّخَ (الرب) عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ» (مر ١٦: ١٤).

+ يبدو ذلك وكأنَّ التلاميذ صَعُبَ عليهم ما سمعوه، ولم يكونوا مُستعدِّين لقبول حَدَث "قيامة" الرب من الموت، بهذا الشكل المُكثَّف الحقيقي. وهذا يعني وكأنَّ التلاميذ كانوا يتوقَّعون قيامة "غامضة"! ولكن العكس هو الذي حدث، إذ أنَّ "توما" رَفَضَ "بعناد" أن يعترف بالقيامة، «فَقَالَ لَهُمْ (لبقية التلاميذ): "إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ"» (يو ٢٠: ٢٥).

وهذا بالكاد كان أبعد ما يكون عن تصوُّر التلاميذ أن تكون "قيامة" يُقاومونها، أو الحذر والتشكُّك في حدوثها. وقد أشار الرب يسوع إلى ذلك، عندما تَقَابَل مع تلميذَي عمواس، قائلًا لهما: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ» (لو ٢٤: ٢٥).

+ ويُشير إنجيل يوحنا بالتحديد، في نفس الوقت، إلى أنَّ بطرس والتلميذ الآخر (يوحنا) وصلا إلى القبر الفارغ ليفحصانه، «لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الأَمْوَاتِ» (يو ٢٠: ٩).

+ ولكن الظروف العشوائية المختلفة التي ظَهَر فيها الرب يسوع لكثيرٍ من الناس، كانت معظمها في أماكن عادية، وليست في أماكن ذات ذكريات مُقدَّسة؛ بل إنَّ بعضها كان طريقًا بعيدًا عن أورشليم، وبعضها كان خروجًا للصيد عند بحيرة "طبرية"، وأخرى كانت في أماكن غير موصوفة كالبستان. وكانت مشاعرهم عندما يلتقون مع الرب، مُتنوِّعة للغاية: منها كان الحزن (مريم المجدلية)، ومنها كانت الشكوك (توما)، والخوف (النسوة)، والندم (بطرس). وبعض ظهورات الرب، كانت لأشخاصٍ بمفردهم، وأخرى لمجموعاتٍ صغيرة، وأخرى لمجموعاتٍ كبيرة. فهي لم تكن على نمطٍ واحد في المواقف والظهورات.

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

****